بين الهمزة والفكرة! – د. جهاد نعمان

الهمزة عقدة يحار حتى الكتاب في حلها .فهي تارة تكتب على الواو، وتارة على نبرة، وحينا تكون فوق الالف، وحينا تحتها. وكثيرا ما تأتي مفردة بلا مركز. وهذا التغيير الطارئ على الهمزة، أمر تضيق به اذهان النشء، فيعرضون عنه، موقنين ان احوال الهمزة أمر غامض، لا سبيل الى الوقوف على كنهه، مهما بذلوا من جهد، وانفقوا من وقت ومال.

والحقيقة ان الهمزة شغلت علماء اللغة زمنا طويلا، واثارت الجدل بين البصريين والكوفيين حقبة كبيرة، وكانت موضوعا للاخذ والرد والمناقشة في المجامع العلمية، وفي حلقات النقد ومجالس الادب. فكان كل فريق يدلي بحجته ويؤيد برهانه ويعزز نظريته، من غير ان يتوصل احد منهم الى حل حاسم.

وعندي ان علماءنا الأعلام، لو انصرفوا الى معالجة الشؤون الفلسفية والإبداعية، بقدر انصرافهم الى معالجة الهمزة، وطريقة كتابتها في الابتداء والوسط والطرف، وقبل حروف المد، وبعد حروف الانفصال والاتصال وسواها، لتوصلوا الى ابداعات جليلة، انشاء وتحليلا، وربما كان في مقدورهم ان يكتشفوا ما لم يكتشفه مبدعو الغرب.

اجل، ينبغي ان نتفق على قواعد عامة راسخة من مثل قاعدة حالات الهمزة المتوسطة. أدعو الى ان يقرر جماعة من الثقات، قواعد يرونها أقرب الى الصواب وادنى الى الفهم والحفظ. وهكذا يستند اليها كل كاتب ومتحدث، بعد ان يكونوا قد جلوها بطريقة استنباطية جديدة.

مما يدعو الى المسرة والارتياح، ان محاولة تبسيطية قمت بها في جامعات وطنية واجنبية،من هذا القبيل، قد جعلت كتابة الهمزة والقواعد عموما مستساغة مستحبة ، ما قد يقصر عنه كثير من حملة الشهادات العالية عندنا. وهذه الطريقة تعتمد قبل كل شيء على الايضاح العملي المستند الى مقابلة الأمثلة وتحليلها تحليلا بسيطا يؤدي الى استنباط القاعدة الجلية. الطريقة معدة من اجل الطالب اكثر من العكس... اهملت ما يمكن الاستغناء عنه، ولم اختر الفاظا صعبة، ولا تراكيب طويلة معقدة، ولم أحفل بالشروح المملة، التي يمجها ذوق الطالب ويأباها طبعه. آثرت التركيز على الابداع في ذاته دعما للمقاربة الجلية الطلية...اهم ما في الامر هو الفائدة من دروس لغوية عبر ابداع المبدعين وبعيدا عن ادعاء المدعين.

ليست القواعد العوبة خطرة نتقاذفها لنجمد الحياة او ندمرها، بل هي تحت اقدام أجيال صاعدة فعلا تتراكض لملاقاة عوالم الفكر والنور.

د.جهاد نعمان، جبيل، حارة المرجان، استاذ في المعهد العالي للدكتوراه

٣٠ نيسان ٢٠٢٢